هوامش

بدأت وزارة الثقافة والسياحة التركية أعمال الترميم في «برج الفتاة» الشهير، أبرز المعالم السياحية في إسطنبول. ومن المنتظر افتتاحه أمام الزوار مجدداً في إبريل/ نيسان 2022

اخذ شكله الحالي كمطعم بعدما خضع للترميم بين عامي 1995 و2000 (Getty)

«برج الفتاة» السياحي
لغز إسطنبول يخضع للترميم

إسطنبول ـ **عدنان عبد الرزاق**

ربما الغموض وتعدد الروايات المشوقة، يزيدان من رغبة الاكتشاف، سواء كان الغامض شخصاً أو مكاناً أو حتى معتقداً، فماذا لو كان الحديث عن تلك الثلاثية، مكاناً غامضاً يروي قصة غريبة لمعتقد عجائبي؟ إنه «برج الفتاة»؛ أهم رموز مدينة إسطنبول السياحية الذي حيكت حول بنائه وابنة الملك الموضوعة فيه أغرب الروايات. واستخدم، منذ بنائه، في أغراض عسكرية وتعليمية وسياحية. وتقول بعض الروايات عنه إنه استخدم سجناً ومقبرة ومنفى، بل وحتى مكان جباية لتحصيل الرسوم من السفن العابرة للبوسفور، ومنارة لمن يضلّ منها.

لكن هذه التحفة المعمارية ستحجب منذ نهاية الموسم السياحي الحالي، حتى إبريل/نيسان عام 2022، بداعي الترميم، كما أعلنت وزارة الثقافة والسياحة التركية أخيراً. وربما ثمة أهداف تركية أبعد من الصيانة وتصليح ما نالت منه زيارات السياح. إذ كشف وزير السياحة، محمد نوري أرصوي، عن «بذل الجهود الحثيثة لاكتشاف المزيد من الآثار التاريخية، والحفاظ على الآثار الحالية». فربما يفتح الستار بعد أقل من عام، على «برج فتاة» جديد، باكتشافات تعيد نسج روايات أخرى، عن بناء وسط البحر، وصلت طرق استثماره ليكون مطعماً، بعد ترميمات عام 1995.

وتقول أستاذة التاريخ التركية، سيهان بولكجو، إن «برج الفتاة» من أهم ما تبقى من العهد البيزنطي في إسطنبول الآسيوية (أسكودار)، لكن كثرة الاستخدامات وتوافد الزوار يستدعيان الترميم والدعم كل فترة، والبرج لم تطرأ عليه إصلاحات حقيقية منذ عام 2000. وتوضح بولكجو، لـ«العربي الجديد»، أن بعض المراجع تتغافل عن بداية بناء البرج، وتقول إنه مجهول، لكن كتبا أخرى تشير إلى أنه بُني في عهد القائد الإغريقي ألكيبيادس، أي في نحو العام 411 قبل الميلاد، ولكن على هيئة ومساحة مختلفتين، لأن «برج الفتاة» أخذ شكله المعماري الراهن، مع بعض التعديلات اللاحقة، في عام 1832، خلال عهد السلطان العثماني محمود الثاني.

وتبدلت استخدامات البرج، نظراً لأهمية موقعه وغرابته. ولكن بعد دخول السلطان محمد الفاتح إسطنبول عام 1453، استخدم كبرج مراقبة، لأغراض ملاحية وعسكرية، ولكنه تهدم خلال الزلزال المدمر عام 1509، كحال آثار كثيرة وقتذاك، ليعاد بناؤه بعد عامين، إلا أن حريقاً عام 1721 نال منه، ليعاد ترميمه وتدرس استخداماته للمحافظة عليه. استخدم حينذاك مكاناً للحجر الصحي لمصابي الأمراض المعدية. لكن هذا الدور سرّع بتهالكه، الأمر الذي دفع السلطان محمود الثاني لإعادة الترميم مع بناء جديد ومتين، وعلى الأرجح هو الشكل الحالي حتى اليوم، مع تغيرات بسيطة خلال ترميم 1945 و1998. وبعد زلزال 1999 وأيضاً عام 2000، دعّم المبنى بالفولاذ لحمايته، لأن إسطنبول تقع على فالق ومهددة على الدوام بهزات وزلازل.

وتقول الروايات، حول البرج مثمن الأضلاع، ذي الطوابق الستة التي يربط بينها درج حلزوني، ليبلغ ارتفاعه مع القبة 23 متراً، يزيّن خليج البوسفور، إن السلطان كان يحكم المنطقة، وأفزعه حلم رآه حول لدغ أفعى لابنته الوحيدة وموتها في عيد ميلادها الثامن عشر، فردم جزءاً من البوسفور، ليتحول بناء البرج إلى جزيرة منعزلة عن اليابسة، ولا تصل إليه الأفاعي. لكن محبي السلطان والمتوددين له، سارعوا لحمل الهدايا يوم عيد ميلاد ابنته الثامن عشر، وبينها سلة فاكهة مزينة بالعنب تسللت إليها أفعى. وحين تناول الابنة الفاكهة، خرجت الأفعى، ولدغتها، لتموت كما نبوءة أبيها.

وينسج الأتراك من هذه القصة عبرة القدر الذي سيطاول الإنسان ولو كان في حصون مشيدة، ويستشهدون بموت الفتاة على عدم هروب الإنسان مما يُكتب له، بعد التطرق لمكانة الأولاد وغلاوتهم، بدليل هجرة السلطان البرج وحمله اسم الفتاة حتى اليوم. ولكن، لا راو ولا كتاب، يذكر اسم السلطان أو ابنته، بل ولا تواريخ على هذه الرواية الأقرب للرومانسية منها للحقيقة، بل والمتداولة بأكثر من جغرافيا حول العالم، لأماكن مرتفعة أو قصية أو قصور قديمة فارهة، مع اختلافات قليلة، إذ البعض يقول إن عرافين توقعوا موت الفتاة وحذروا أباها، فبنى لها قصراً أو أسكنها برجاً. وعلى ذكر الأبراج، وليس بعيداً عن «برج الفتاة»، ثمة برج أخذ عبر التاريخ أدواراً، فضلاً عن تفرده بتجربة الطيران التي قام بها هزارفن أحمد شلبي عام 1632، من منطقة بيرا في القسم الأوروبي من إسطنبول إلى «أسكودار»، قاطعاً عبر أجنحة اصطناعية، 3358 متراً. إنه برج «غلاطة»، أحد أهم معالم إسطنبول حتى اليوم. الذي بُني أول مرة من الخشب عام 507 قبل الميلاد، فاحترق مراراً قبل أن يُبنى من الحجر في عهد السلطان محمود الثاني أيضاً، ويتحول، كما «برج الفتاة»، للسياحة وأخذ عبر من التاريخ.

باختصار

البرج تعرض لتغيرات مادية ومكانية، لاستخداماته المختلفة عبر التاريخ، وينتظر الانتهاء منه ترميمه في إبريل/نيسان

■■■

البناء الواقع وسط البوسفور مثمن الأضلاع، وفيه 6 طوابق يربط بينها درج حلزوني، يبلغ ارتفاعه مع القبة 23 متراً

■■■

تقول الأسطورة إن سلطاناً أمر ببناء البرج لحماية ابنته الوحيدة، بعدما راوده كابوس عن موتها بلدغة أفعى

وأخيراً

الهروب إلى السجن الكبير

سما حسن

سيبدو الحديث في هذه المقالة سمجا لبعضهم، فالمقاربة ليست مناسبة، أو بعيدة، حسب ما سيرى كثيرون، ولكن آخرين سوف يستوعبون المقاربة ويبتسمون، والابتسام في هذا الظرف الحالك معجزةٌ تضاف إلى معجزة الهروب من السجن الصغير. ويبدو أن المقاربة الغريبة بعض الشيء لا بد منها، لأخذ عبرةٍ صغيرةٍ أو درسٍ يجب ألّا يمر مرور الكرام. موغلة في الحرص والخوف والريبة وتبلبل الأخبار، كنت أحاول إخفاء ترقّبي مصابا قد يقع في بيتي مع تفشّي فيروس كورونا، وجاءت ابنتي، ذات صباح، لتقصّ علي حلما رأته في منامها. وهكذا طرت بتفاصيله لمن اعتادوا تفسير الأحلام عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وكان تفسيرُه لديهم أن وباءً سيحلّ بالبلاد، وسينجو أهل بيتي. وهكذا استرحتُ مع تدابير احترازية متواضعة. وكلما اقترب الوباء من أحد من معارفي، كنت أتذكّر حلم ابنتي، وأشعر بطمأنينة. ويبدو أن عِظَم البلاء قد يجعل المرء يتمسّك بحلم أو رؤيا أو حتى خرافة ومعتقد، وربما كان ذلك من أسباب ظهور التطيّر والتشاؤم والاستبشار بحركة النجوم وأحوال الطيور على سبيل المثال، وربطها بما يحدُث للبشر على الأرض من مصائب ونوائب.

فجأة، وكما هرب الأسرى الستة من واحدٍ من أكثر سجون العالم تحصينا، هجم فيروس كورونا على بيتي. وأصبحنا جميعا طريحي الفراش، لا نصدّق أننا قد أصبنا بالفيروس بعد أن صدّقنا الحلم، وتضخّم معنا شعورُنا المضحك بالاصطفاء، بناء على أحلام ابنتي ورؤاها «اللي ما بتنزلش الأرض». وفي ذهولٍ، كنت أراقب حرارة ابنتي الصغيرة المرتفعة، مثلَ ما انحنى مدير سجن جلبوع يتأمل فوهة النفق الذي هرب منه الأسرى الستة.

هكذا لا توجد مسلّماتٌ تصل نسبة تصديقها أو صحتها إلى مائة بالمائة، مهما حاولت أن تفعل لكي تقنع بها من حولك، ولكنك تتراخى. المصيبة في التراخي والاستهتار أو عدم اتخاذ التدابير والتحصين الكافيين، وربما الاتكال على حلم والاتكال على الترويج والتضخيم الإعلامي عن سجن جلبوع وتحصينه ومناعته، حتى نامت الحارسة قريرة العين مع سماعها صوت جلبة ما، ولكنها لا تريد أن تصدّق أن حشرةً يمكنها أن تتسرّب من هذا الحصن المنيع. أعرف جيدا، وأتخيل انقلاب معظمكم على ظهره من هذه المقاربة، ولكن الحقيقة أن هذه الحياة لا نستطيع أن نُمسك بطرف حلّ لغزها، فكلما أوغلنا في الثقة فوجئنا، مثل ما نوغل في التعلق بشخصٍ قوي وبصحة جيدة ويكون هو المستشار الأمين، والصدر الحنون والظهر والسند وغيرها من التسميات، ثم فجأة يقع على الأرض بلا حراك وقد سُلبت منه روحه، ولم يعد يجدي لك نفعا، وعليك أن تتقبل حقيقة الموت، هذه الحروف القليلة التي لا تزال تكتشفها وأنت تمضي بعمرك المتسارع ركضا نحوها. عودة إلى الحديث الجادّ عن هروب الأسرى الستة، ثم القبض على أربعة منهم، وهذا ما يثير العجب، ويجعل بائسين يقولون إن لا جدوى من الهروب؛ فالأرض كلها ملك للاحتلال البغيض، وكأنها رقعة شطرنج مبسوطة فوق طاولةٍ وثيرةٍ في غرفة ملك عظيم: أين يذهب هؤلاء، ولم المحاولة من الأساس .. والإجابة باختصار أنهم قد نالوا شرف المحاولة، ومرّغوا أنف العدو في التراب، فقد استطاعوا أن يحفروا نفقا في زنزانة عاما من دون أن يشعر بهم أحد، حتى أن إدارة السجن بدأت في فحص هيكل السجن خوفا من وجود أنفاق أخرى، بالتعاون مع الجيش وخبراء البناء والهندسة.

> عملية الهروب إلى السجن الكبير كانت ناجحة بامتياز، وبعثت رسالة إلى العدو أن القادم أعظم

شرف المحاولة يكفي، مثل ما قلت لأولادي إننا أصبنا، ولكننا سننجو، وهمسْتُ لابنتي إن حلمها لم «ينزل أرضاً»، فنحن فسّرناه كما نريد بأننا لن نصاب بالفيروس الذي يحاربه العالم، وكان الأجدر أن نفسّره أننا سنصاب وننجو، مثل ما علينا أن نفسّر عملية الهروب إلى السجن الكبير بأنها كانت ناجحة بامتياز، وبأنها أرسلت رسالة مختصرة إلى العدو، أن القادم أعظم، وكما قالت الجدّات» الجايات أكثر من الرايحات».

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**